

الإثنين 24-01-2011

1242- يوم إبداعي الشخصي: قصة قديمة

مقدار

-1-

..."كذا رضا.

قالها وكأنه يحدث نفسه.

كانت قبضته غمس برأس عصاه في ثقة ، مثل طمأنينة صديقين مزمنين إلى بعضهما البعض دون حاجة إلى شهادة ثالث، كان قد أسلم ظهره لشمس لا تغمر إلا نصف المساحة أمام المقهى. شمس أوحشه منذ ثلاثة أيام بال تماماً ، ثم هاهى قد حلت على الكون برغم أنف مصلحة الأرضاد.

قال وهو يحدث نفسه :

"قوى.. قوى.. هو القوى، هكذا رضا، و .. زيادة."

رداً صوت آخر آت من المجالس خلفه على بعد خطوتين (يبدو في السن ذاتها) محافظاً على مسافة ثابتة تعلن حدود الأمان :
"ربنا يقوى إيمانك."

رد الرجل الأمامي متحفزاً ، دون أن ينظر خلفه :

"ما باليد حيلة.. ومن لا يعجبه يشرب من البحر."

يأتي صوت "الرجل الآخر" من الخلف :

"كلام كما الترياق. فقط لو..."

-2-

يدق الفقي ماسح الأذية على جنب الصندوق بالفرشاة ، فيشير الرجل إلى قدميه دون كلام. يفرد الصي تحت رجليه مساحة من الورق المقوى، يبدو أنه كان صندوقاً لشيء ما، ثم فتح على مصراعيه دون عناء. ينظر الرجل المجالس إلى قدميه ، ويحاول أن يتهجى الحروف المتبقية على الورق المقوى: مالـ..

مالـرـ.. مـالـرـيوـ .. هـاـهـيـ. نـعـمـ . . هـيـ سـجـائـرـ الغـزاـةـ الجـددـ، وـلـكـنـ لـمـاـذاـ قـفـزـ ثـنـهاـ إـلـىـ هـذـاـ الرـقـمـ الـخـيـالـ، دـوـنـ زـيـادـةـ حـادـةـ فـيـ الـمـاعـاشـاتـ؟. مـنـ لـاـ يـعـجـبـهـ يـشـرـبـ مـنـ الـبـحـرـ فـعـلـاـ، أـوـ يـحـافـظـ عـلـىـ صـحتـهـ مـُرـغـمـاـ.

-3-

تـمـرـ الصـغـيرـةـ السـمـرـاءـ، وـقـدـ حـلـتـ كـتـبـهاـ فـيـ حـقـيـقـةـ مـحـظـوظـةـ، تـضـغـطـ بـهـاـ فـوـقـ صـدـرـهـاـ، فـيـكـادـ يـنـبـعـ ثـدـيـاهـاـ كـلـ إـلـىـ جـانـبـ، لـوـلاـ مـرـونـةـ الـلـحـمـ الشـابـ الطـازـجـ. يـنـظـرـ الرـجـلـ الـجـالـسـ إـلـىـ السـاعـةـ بـطـرفـ عـيـنـهـ؛ لـيـقـفـزـ خـاطـرـ خـبـيـثـ "إـلـىـ أـيـنـ يـتـبـخـرـ الغـزالـ الـأـمـرـ، وـالـمـيـعـادـ لـيـسـ مـيـعـادـ الـمـدـرـسـةـ، لـاـ ذـهـابـاـ وـلـاـ إـيـابـاـ؟" كـمـ هـوـ مـشـتـاقـ إـلـىـ أـنـ تـكـوـنـ لـهـ أـمـ صـغـيرـةـ مـشـتـهـاـ، نـعـمـ". . أـمـ "صـغـيرـةـ لـاـ تـجـاـزـ الـثـمـانـيـةـ عـشـرـ. لـوـ حـدـثـ هـذـاـ لـعـادـ يـرـضـعـ مـنـهـاـ كـمـاـ صـفـارـ العـجـولـ الرـقـطـاءـ، وـلـزـالـتـ الـآـلـمـ الـرـوـمـاتـيـزـمـيـةـ مـرـةـ وـاحـدـةـ.

-4-

يـفـيقـ عـلـىـ دـقـةـ مـاسـحـ الـأـحـذـيـةـ، عـلـىـ جـانـبـ الصـنـدـوقـ، فـيـمـدـ رـجـلـهـ بـاـسـتـسـلـامـ، وـيـضـعـ قـدـمـيـهـ فـيـ الـخـذـاءـ الـلـامـعـ دـوـنـ رـغـبةـ وـاضـحةـ. تـعـودـ أـفـكـارـهـ إـلـىـ دـاـخـلـ رـأـسـهـ مـخـنـقـةـ، حـتـىـ لـيـكـادـ يـرـبـطـ بـيـنـ حـرـكـةـ أـصـابـعـ الـقـدـمـ الـطـلـيـقـةـ، وـحـرـكـةـ الـأـفـكـارـ الـخـرـةـ؛ فـتـتـمـلـمـلـ الـأـصـابـعـ دـاـخـلـ الـخـذـاءـ الـلـامـعـ.

-5-

يـتـكـلـمـ "الـعـجـوزـ الـخـلـفـيـ" وـكـأـنـهـ قـدـ اـقـرـبـ قـلـيلـاـ دـوـنـ اـسـتـذـانـ، فـيـسـأـلـ "الـعـجـوزـ الـأـمـامـيـ" عـمـاـ فـعـلـ صـاحـبـ الـعـمـارـةـ الـجـديـدةـ الـمـقـاـبـلـةـ الـتـقـيـ أـصـبـحـ تـحـجزـ نـصـفـ الـشـمـسـ، عـنـ نـصـفـ الـمـقـهـيـ؟

- الـلـجـنةـ عـمـلـتـهـاـ بـخـمـسـةـ وـخـمـسـينـ بـعـدـ اـثـنـيـنـ وـتـسـعـينـ، وـمـتـظـلـمـ.

- معـهـ حـقـ، الـمـبـاـنـ تـتـكـلـفـ هـذـهـ الـأـيـامـ، هـذـاـ ظـلـمـ.
- ليـكـنـ، لـكـنـ مـنـ أـيـنـ يـأـتـيـ الشـبـابـ بـالـنـقـودـ؟
- لاـ حلـ إـلـاـ فـ عـقـدـ عـمـلـ أـوـ إـعـارـةـ.
- الـبـنـتـ سـافـرـتـ مـعـ زـوـجـهـاـ، وـلـمـ تـرـسـلـ حـسـأـ وـلـاـ خـيـرـاـ.
- الدـنـيـاـ مشـاغـلـ.
- لـابـدـ أـنـ النـذـلـ زـوـجـهـاـ مـنـعـهـاـ خـوـفـاـ مـنـ الـطـلـبـاتـ.
- الـلـهـ الـغـنـىـ يـاـ شـيـخـ.
- "فـشـرـ" . . . هـيـ وـهـوـ عـلـىـ "هـذـاـ"، لـوـ كـانـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ.

-6-

يسود صمت حديد قديم، وكأنهما لم يتكلما أصلاً. يتسبّب الرجل الخلقي إلى الخلق، كما لو أنه كان قد تقدم أصلًا، فتعود المسافة كما كانت (بالضبط)، وجوار كل منهما كرسي خال.. ومنضدة مستديرة من الصفيح الصدئ.

تتسدل الأفكار في رحاب دفء الشمس، وكأنها صفات كتاكيف يتبع أمه في نظام "... هانت، والجنة تنتظر الصالحين بعد حسن الختام، ثم إن رحمته أكبر من أخطاء البشر. أعظم ما في الجنة هو قلة الكلام، واختفاء الرؤساء، ووفرة الخور العين، ولكن أيّن ستذهب أم الأولاد؟. (ذلك لو دخلت الجنة أصلًا، لم يقولوا إن أكثر أهل النار من النساء؟) أقول لنفسي: يا ترى لو أغنانا الله عنها بالخور العين، فماذا هي صانعة في هذه المسألة؟ حق لو رجعت حورية، فإن نفسي تهفو إلى الآخريات من لا أعرف، أليس هذا أضمن؟ إذ من أدرااني ماذا ستفعل هناك ، بعد أن تزهو بذاتها وكأنها حورية فعلاً، ثم إن الجنة نفسها لا يمكن أن تخسر من طباعها، وهي معتادة دائمًا ... دائمًا معتادة" . . دائمًا والعياذ بالله. ومع ذلك فما يشغلني هو احتمال وجود حور من الذكور، كله جائز، ولا خطر على قلب بشر، يا خير! ما هذا؟

- إستغفر يا غي إيش أفهمك أنت في أي شيء ..

- وأنا مالي؟ تدابيره تفوق تفكير أمثالى.

-7-

نظر في استقامة أمامه، فرأى عربة الفول الصغيرة، وقد اصطط حولها صبية المخلات يغطرون وقوفاً في انتظار فتح الورش؛ حين تُخَنِّ ساعة الانضباط. وتساءل عن هؤلاء الشباب الذين لا يركعونها ، والذين لن ينالوا دنيا ولا آخرة ، راحت عليهم بين الأرض والسماء، يا حبة عيني.

وبالرغم من هذه الشفقة الواخزة العاتية، فقد ظل وجهه مبتسماً، إذ خطر له - يقيناً - أن الله سبحانه لا بد سيكون أعدل، وأرحم من الحكومة، وأمريكا، وروسيا، والصين، وشيوخ الإمارات، وفاتورة الكهرباء .